مقدِّمـــة

إنّ الحديث عن نكبة مخيم نهر البارد هو حديث عن مأساة هذا العصر التي ستترك تداعياتها آثاراً مدمِّرة ولسنوات على حياة أربعين ألف نسمة اجتماعياً ، واقتصادياً ، وسياسياً ، وأمنياً . والقصة من بدايتها حتى نهايتها كلُّها أسرار .
تناول الاعلام ما حصل كلٌّ من زاويته ، وبما يخدم أهدافه ومصالحه، لكنّ الذي دفع الثمن ، ثمن هذا المشروع الخطير هما طرفان ، أهالي مخيم نهر البارد ، وعناصر الجيش اللبناني .

تساؤلات كثيرة أثيرت حول المخطط أو المشروع الذي كُلفت به مجموعات "فتح الاسلام"
والتساؤلات أثارها المسيَّس كما أثارها الانسان العادي ، وأثارها الفلسطيني ، كما أثارها اللبناني . فهل المشروع سياسي أو أمنيٌّ ؟ محليٌّ أو إقليمي ؟ أو دولي ؟
وهل هذه المجموعات تنتمي إلى تنظيم القاعدة أو إلى تيار إسلامي محدّد ؟
تساؤلاتٌ أخرى لا تقل أهمية تمَّ طرحها من المراقب الحيادي وغير الحيادي .
هل المقصود من تمركز هذه المجموعات المدجَّجة بالسلاح السيطرة على المخيم ، وإحكام القبضة عليه مع كل ما يتطلبه ذلك من خطوات تصعيدية أهمها تصفية وجود فصائل م.ت.ف ، والتحكم بالتالي بالقرار السياسي ، والأمني ، والتصرف بالمخيم كقاعدة إرتكازية مقدمة للإنطلاق نحو المنطقة بكاملها ؟

أم أنَّ الهدف من وجود هذه المجموعات المسلّحة هو إقامة إمارة إسلامية في المنطقة ؟ أم أنَّ الهدف هو الدخول المباشر في الملف الأمني والسياسي اللبناني وتنفيذ دور معين لصالح هذا الطرف أو

ذاك ، وبالتالي زج الوجود الفلسطيني في لبنان في الخلافات الداخلية اللبنانية مما يسيء إلى القضية الفلسطينية .

ولعلَّ التحول الأخطر في وجود مجموعات "فتح الاسلام" هو الإقدام على ارتكاب مجزرة بحق الجيش اللبناني على مدخلي مخيم نهر البارد الشرقي والشمالي، وهو الذي شكّل إعلان حرب على الجيش اللبناني، علماً أنَّ هناك إجماعاً لبنانياً وفلسطينياً وعربياً بأن مؤسسة الجيش اللبناني محط إجماع كل اللبنانيين على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم ، وتياراتهم السياسية ، والتعدي على هذه المؤسسة يشكل تعدياً على الشعب اللبناني كلّه .

إنَّ حجم مأساة مخيم نهر البارد لا يمكن الإحاطة بكل تفاصيلها ، وكلِّ جوانبها ، والموضوع لا يتوقف عند حدود تدمير السوق الاقتصادية للمخيم والتي تتجاوز قيمتها عشرات الملايين من الدولارات ، وأيضاً الموضوع لا يتوقف عند حدود تدمير البيوت ، واحتراق ما فيها ، وإنما يمتد عمق المأساة إلى سقوط الشهداء والجرحى ، وإلى تشرد مخيم بأكمله ، بأطفاله ونسائه ليعيشوا حالة ضياع ، ومازالوا ، يبحثون عن لقمة العيش ولا يجدونها بعد أن فقدوا مصدر رزقهم ، فلا مجال للعمل والانتاج، والبطالة التي وصلت في الأشهر الأولى إلى ٨٠% ، وهذا ما سبَّب مآسي اجتماعية ، وانسانية ، ونفسية ، وحالات مرضية عصبية ، واضطرار هذه الاسر التي كانت تسكن في بيوتها مستقرة مطمئنة إلى العيش في غرف المدارس حيث الاسرتان أو الثلاث أسر في غرفة واحدة ، أو في قاعات المساجد حيث عشرات الاسر يفصل بين الاسرة والاخرى حِرام ، أو قطعة شادر، وهل هناك مذلّة أكثر من هذه المذلة ؟!

لقد وُضع الأهالي أمام خيارات صعبة ومعقدة في ظل الأزمات المتراكمة والتي ليس لها من حلول إلا على حساب النازح وراحته فأزمة التعليم والمدارس من جهة ، وأزمة السكن من جهة ثانية ،

وأزمة البطالة من جهة ثالثة ، وأزمة انتشار الأمراض والأوبئة من جهة رابعة ، والأزمة النفسية من جهة خامسة ، والأهم هي أزمة الضياع والغموض والخوف من المستقبل ، وماذا يُخبَّأ لنا تجاه عملية إعادة إعمار المخيم .

حتى تاريخ ٢٠٠٨/٧/١٥ الذي اعتمدناه كحد أقصى للتطورات التي تناولناها مازالت المعاناة قائمة ، وأرض المخيم لم يتم استملاكها ، والأموال المطلوبة لإعادة الإعمار ، والترميم ، والتعويض لم يتم جمعها بالشكل المطلوب ، والبيوت المؤقتة مازالت تضمُّ أسراً وعائلاتٍ تعيش أقسى الظروف ، وتدفع ثمن مشروع خطير ليس لها علاقة به ، ومازالت قيادة الفصائل واللجان الشعبية تلهث خلف الانروا ، والمنظمات غير الحكومية المحلية والدولية ، ومازال الحوار مع قيادة الجيش قائماً لتخفيف الاجراءات الأمنية من أجل استعادة الحياة الطبيعية لهذا المخيم .

لو لم تكن إرادة أهالي مخيم نهر البارد صلبة وقائمة على الوعي الوطني لما استطاعوا الصمود والانتصار على المؤامرة بكل مفاعيلها ، والأهم أنهم مازالوا ورغم التحديات الكبيرة يكتنزون الطاقة المطلوبة من الهمة ، والوعي ، والإرادة وهذا ما يشكل الضمانة الحقيقية لاستعادة المخيم ، واستعادة دور المخيم التاريخي الذي شكل العاصمة الاقتصادية للمخيمات الفلسطينية .

ويبقى على القيادة الفلسطينية أن تضاعف من اهتماماتها كطرف أول معني قبل غيره بنكبة مخيم نهر البارد ، وأن يتركز هذا الاهتمام على مصير المخيم ، وعلى مستقبله ، وعلى إنقاذ أهله من المآسي المعيشية، والاجتماعية التي يعيشونها .

مكتب الدراسات والمتابعة لأزمة نهر البارد
٢٠٠٨/٧/١٥

نبذة عن مخيم نهر البارد

أسّس هذا المخيم بعد نكبة عام ٤٨ وتحديداً في العام ١٩٤٩ وأسهم في تأسيسه الصليب الأحمر الدولي ، ويقع في منطقة لبنان الشمالي ويبعد ١٥ كلم عن مدينة طرابلس شمالاً . مساحة هذا المخيم ١٩٨٢٠٠م٢ ويحده جنوباً نهر البارد وغرباً البحر المتوسط وشرقاً الأوتستراد الدولي وشمالاً منطقة العبدة .

كان سكان هذا المخيم في العام ٤٩ ستة آلاف نسمة وهم في غالبيتهم العظمى ينتمون إلى منطقة الجليل الأعلى من فلسطين ، فهم من الفلاحين ، لذا عملوا في الزراعة في بداية وجودهم في هذا المخيم وأدخلوا بعض الزراعات من الخضر والفاكهة إلى هذه المنطقة التي لم تكن تعرف هذه الأنواع من الزراعات . وبدأ هذا المخيم بالتطور من خيم إلى بيوت من اللّبِن أي حجارة مصنوعة من التراب ، وسقفها عادة من القصب والتراب ، والبعض الآخر من التوتيا ، أي ألواح الزنك . وفي الخمسينات بدأ المخيم يشهد ظهوراً سياسياً لحركة القوميين العرب ، وحزب التحرير الاسلامي الذي كان له نشاط أنذاك . وتطور نشاط القوميين مع الامتداد الناصري الذي اجتاح العالم العربي بأسره آنذاك . وفي العام ٦٨ شهد المخيم الانطلاقة الأولى للثورة الفلسطينية المعاصرة وكان من أول المخيمات التي احتضنت الثورة وقدمت لها خيرة أبنائها من الشباب وما زال حتى هذه اللحظة .

ومع انطلاقة الثورة شهد المخيم تطوراً مهماً على صعيد البناء حيث كانت السلطات المحلية تمنع البناء وخصوصاً الباطون لذلك شهد طفرة عمرانية مهمة . واستفاد هذا المخيم من وجود الخط الدولي الذي يربط لبنان بسوريا ، وأقيمت المحال التجارية على جانبي الطريق الدولي الذي كان يقسم المخيم إلى قسمين ، هنا كانت المحطة التجارية الأولى لهذا المخيم ، وفي بداية السبعينات بدأ أبناء المخيم يتطلعون للسفر إلى الخارج وخصوصاً من أصحاب حملة الشهادات العلمية وأصحاب الخبرات الفنية . فكانت أبواب الخليج مفتوحة لهم ،

فساعد هذا كثيراً في تحسّن الوضع الاقتصادي والاجتماعي لأبناء هذا المخيم . كان لافتاً أن نسبة التعليم كانت عالية جداً حتى أننا نستطيع القول أنه لا يوجد أميٌّ من مواليد العام ١٩٥٠ وما فوق ، حيث إنَّ التعليم كان مجاناً وعلى حساب الانروا .

كان هذا المخيم كغيره من المخيمات الفلسطينية يتعرض للعدوان الاسرائيلي دائماً ، فقد قصف الطيران الاسرائيلي لأول مرة هذا المخيم في العام ١٩٧٢ واستخدم أحدث الصواريخ ، الجو أرض الأمريكية آنذاك . وكذلك تعرض المخيم لإنزال بحري في العام ١٩٧٣ وإلى اعتداءات متكررة مما حدا بالرئيس الرمز ياسر عرفات إلى انشاء ملاجئ ، في مدارس الانروا ، وإلى بناء البعض داخل المخيم من أجل حماية الأهالي أثناء الغارات .
وفي العام ١٩٨٢ شهد المخيم نتيجة الاجتياح الاسرائيلي للبنان ووصوله إلى العاصمة بيروت وصول أكثر من سبعة آلاف مهجّر ، كان معظمهم من سكان مخيم تل الزعتر سابقاً والدامور لاحقاً ، ونتيجة هذا العدوان هجّروا مرة ثالثة إلى نهر البارد ، وبقي منهم حالياً ما يزيد عن أربعة آلاف نسمة ، أمَّن لهم الشهيد الرمز ياسر عرفات قطعة أرض بجانب التعاونية على المدخل الشمالي للمخيم لبناء تجمع سكني لهم .
وفي هذه الأوضاع السياسية والأمنية الصعبة التي كان يعاني منها معظم أبناء الشعب الفلسطيني بعد مجازر صبرا وشاتيلا بدأ أبناء المخيم بالهجرة إلى البلاد الاوروبية مثل : ألمانيا ، والدانمارك ، والسويد ، والنروج ، وأيضاً إلى أميركا ،
حيث وجدوا في هذه البلدان مجالاً للعمل لهم ولأسرهم ، وأسهم هؤلاء المغتربون بنهضة المخيم اقتصادياً من خلال دعمهم لأسرهم أو من خلال الاستثمار مباشرة في التجارة ، أو في البناء ، أو في العقارات ، وكان لهذا أثر كبير على المخيم الذي أصبح العاصمة الاقتصادية لمنطقة الشمال بأسرها ، فكان يقصده أبناء الشمال ، ومن مناطق اخرى أحياناً للتبضع نظراً للأسعار المتدنية الموجودة فيه .

وبلغ عدد سكان هذا المخيم حتى ٢٠٠٨/٥/٢٠ حوالي ٣٧٤٠٠ نسمة بمن فيهم مهجرو تل الزعتر .
عاد منهم حتى الآن إلى الحي الجديد من المخيم حوالي ١٣٠٠٠ نسمة أما الباقون فهم موزعون على مخيم البداوي وباقي مخيمات لبنان .

الفصل الأول

مرحلة ما قبل انفجار الوضع العسكري

الفصل الأول

مرحلة ما قبل انفجار الوضع العسكري

ظهور مجموعات "فتح الإسلام"

في الوقت الذي اندلعت فيه حرب تموز ، واتسعت مساحة القصف والتدمير لتطال العديد من الأهداف على الأراضي اللبناني ، وخاصة الجسور الحيوية لتقطيع أوصال المناطق ، وتعطيل الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وايجاد حالة من الإرباك لتأليب الرأي العام اللبناني على حزب الله ، في هذا الوقت كانت تجري عملية تأسيس خلايا ذات طابع قتالي تواجدت مبدئياً في مخيمات بيروت ، ثم أخذت تنتقل بشكل تدريجي إلى منطقة الشمال لتتمركز مبدئياً في مخيم البداوي في بعض الشقق ، وفي منطقة الشمال بشكل عام ، وحركتهم هذه أخذت الطابع السري ، وقد تم تجهيز هذه الخلايا بالأسلحة ، والوسائل التقنية كالكومبيوترات ، وآلات التصوير ومجموعة من السيديات ، والكتيبات المعدة خصيصاً لغرض التعبئة الجهادية سواء الدينية ، أم العسكرية ، ومجموع هذه المواد التعبوية ليس بعيداً عن الوسائل والأساليب التي تستخدمها القاعدة في تعبئة خلاياها العاملة في العراق وغيره .

كانت الفصائل الفلسطينية في البداوي تراقب تحرُّك هذه الخلايا في أكثر من شقة ، وعندما تكاملت المعلومات حول حقيقة وخلفية هذه المجموعات تمت المداهمة بقرار من قيادة الفصائل ، وقامت اللجنة الأمنية التي تشارك فيها كافة الفصائل بعملية المداهمة ، وحصل اشتباك مسلح أدى إلى استشهاد أحد عناصر جبهة النضال الشعبي الفلسطيني التابعة للتحالف وهو ماهر عبدالهادي ، وتمكنت المجموعات المُداهِمة من اعتقال عنصرين بعد إصابتهما أحدهما سعودي والآخر سوري ، أما باقي العناصر فقد تمكنت من الهرب

بمساعدة عناصر محلية تعرف المنطقة جيداً ، واختفت هذه الظاهرة الغريبة عن المخيم كلياً . وبعد مرور ربع ساعة طلبت قيادة الجيش تسليمها هذين العنصرين اللذين كانا في مستشفى الهلال الأحمر ، وفعلاً تمت عملية التسليم .

ما حدث في مخيم البداوي أثار تساؤلات مخيفة عن مستقبل التحولات في منطقة الشمال في ظل الوجود المتنامي لمثل هذه الخلايا المرشّحة وكما تبيّن فيما بعد لتشكيل ظاهرة غريبة عن المجتمع الفلسطيني، ولكن أهالى مخيم البداوي بشكل عام كانوا مرتاحين لقرار قيادة الفصائل باجتثاث هذه الظاهرة من مخيم البداوي قبل أن تتفاقم ، وإلا لكان ما جرى في البارد يجب أن يحدث في البداوي ، وعندها تكون الطامة الكبرى ، لأن نازحي البارد في مثل هذه الحالة لن يجدوا مخيماً يستقبلهم ، وربما تغيرت معالم المخيمين .
الوعي الفلسطيني لمخاطر مثل هذه الظاهرة دخل مرحلة جديدة من الحساسية والدقة خاصة عندما انقلبت المجموعات التي دخلت مخيم البارد على أبناء التنظيم الذي استضافهم وهم الذين انشقوا عن حركة فتح العام ١٩٨٣ وسموا أنفسهم (الإنتفاضة) ، والذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من التحالف الفلسطيني . قامت هذه المجموعات بزعامة شاكر العبسي وهو فلسطيني اردني باحتلال المراكز ، ووضعت يدها على مستودعات الأسلحة التي تمركزت في مبنى صامد الواقع في المخيم الجديد ، كما استولوا على المكتب الرئيس في مخيم نهر البارد ، ووضعوا الحراسات المشددة من عناصر غريبة عن المخيم ملتحية ، ومدججة بالأسلحة .
أبناء التنظيم في المنطقة الذين فقدوا مراكزهم ومستودعاتهم في مخيم نهر البارد عبروا عن استيائهم وغضبهم ، وفكروا بالتمرُّد والمقاومة، ولكن يبدو أنه جرت عملية مراجعة للأمور من قيادتهم ، وخضعوا للأمر الواقع ، وبالامكان القول أن الذين يعتبرون أبا خالد العملة مرجعيتهم ارتضوا ما جرى ، واسهموا في عملية التطبيع ، أما الذين لا يؤيدون مخططات أبي خالد العملة وإنما يتعاطفون مع أبي موسى

فقد رفضوا الظاهرة وسلوكها علناً، وعبَّروا عن ذلك في اللقاءات والاجتماعات ، لكنهم آثروا عدم التصعيد حرصاً على أمن المخيم .
بعد ثلاثة أيام من هذا الانقلاب العسكري فوجئ الجميع بأن هذه المجموعات العسكرية المدربة جيداً أعلنت عن انتمائها إلى تنظيم جديد على الساحة وهو مجموعات " فتح الإسلام " وذلك من خلال بيان صدرفي ٢٠٠٦/١١/٢٧ أعلنوا فيه أن مهمتهم هي قتال اليهود، هذا الإعلان أثار التساؤلات كما أثار الاستغراب لدى مختلف الجهات والأحزاب الفلسطينية واللبنانية ، فالمخيمات معتادة على وجود الفصائل المنتمية إلى منظمة التحرير الفلسطينية ، والفصائل المنتمية للتحالف الفلسطيني ، أما تسمية " فتح الإسلام " فقد اتخذت غطاءً للمشروع السياسي والأمني المستقبلي، فهي تستفيد من تسمية فتح المعروفة على مختلف الصعد ، وأيضاً تستفيد من العاطفة الإسلامية لدى عامة الناس في كسب ميلهم ، وتأييدهم لهذه الظاهرة المحاطة بالشكوك ، وقد شكل الغطاء الاسلامي لهذه الظاهرة فرصة النمو، والتطور ، ومحاولة الدخول في عمق المجتمع ، واعطائهم القدرة للدفاع عن أنفسهم ، ولجذب عدد لا بأس به من رجال الدين ، ومن المتعاطفين مع بعض التيارات والجماعات الإسلامية ، إضافة إلى بعض الحاقدين على حركة فتح ، وعلى قيادة م.ت.ف ، الذين وجدوا أن مثل هذه الظاهرة المسلحة المعادية علناً لطرف فلسطيني هو حركة فتح تلبي طموحهم في كسر شوكة حركة فتح وبالتالي فصائل المنظمة .
يوماً بعد يوم بدأت الأمور تتضح أكثر فأكثر ، وتجرّأ الكثير من علماء الدين وخطباء المساجد ولو بشكل متفاوت على امتداحهم ، والترحيب بهم كونهم حسب اعتقادهم ملتزمين دينياً ، وأصحاب عقيدة، وهذا ما ساعدهم على أن يغرروا بعدد قليل من الشبان ، ومحاولة استمالتهم بشكل أو بآخر ، وذلك باسم الدين ، خاصة أن هؤلاء المضلّلين انساقوا نحوهم في البداية بدافعين :
الأول هو التأثير الديني ، والثاني هو عداء هؤلاء لحركة فتح بتأثير التعبئة السياسية القائمة من أطراف متعددة تعارض الخط السياسي

لمنظمة التحرير الفلسطينية . وهذا ما أدى إلى تردد البعض إلى مراكزهم ، أو تقديم خدمات لهم ، والقليل القليل من تورط في مشروعهم دون إدراك أبعاد هذا المشروع ، وهذا ما استفادت منه مجموعات " فتح الإسلام " الغريبة كلياً عن النسيج الوطني الفلسطيني .

مجموعة " فتح الاسلام " لم تكن تخفي عداءها للمشروع الوطني الفلسطيني ، وكانت مع أنصارها باستمرار يشنون هجمة تحريضية ضد العلمانية تصل إلى حد التكفير ، وكل ذلك كان يجري بشكل منهجي ومدروس للتمهيد إلى معركة عسكرية داخل مخيم نهر البارد لتصفية وجود الأطراف والقوى السياسية الفلسطينية المعارضة لمشروعهم . وقد برز ذلك العداء بشكل يومي ، وحدث أكثر من احتكاك مع عناصر من حركة فتح ، ونذكّر هنا بحدثين مهمين :

الأول : عندما قامت عناصر من مجموعات "فتح الإسلام" بإطلاق النار على فريد محمد اسماعيل وأصيب إصابة بالغة .

الثاني : عندما قامت عناصر من مجموعات "فتح الإسلام" بإطلاق النار على شباب من آل السويدان وأصيب أحمد السيد إصابات بالغة ومازال تحت العلاج حتى الآن .

أهالي المخيم يذكرون يومها أن هذه المجموعات العسكرية الغريبة عن المخيم وهي من جنسيات مختلفة ، نستدل على ذلك من لهجاتهم وأشكالهم ، قاموا باستنفار عسكري كان عبارة عن استعراض عسكري مستخدمين مختلف الأسلحة ، والمحمولات ، والرشاشات، وتمكنوا من السيطرة على مختلف الطرقات الرئيسة والفرعية ، ولم يقم أحد بالاعتراض عليهم لأن حجم الأسلحة الذي كان بين أيديهم يثير الاهتمام والتساؤل والاستغراب ، والواضح يومها أن جميع الأطراف قد سلّمت بالأمر الواقع ، ولم تبرز أية محاولة للاعتراض على ما جرى ، أما حركة فتح التي لم تكن تتمتع بقدرات عسكرية تؤهلها للمواجهة فقد آثرت عدم فتح معركة في هذا الظرف تحديداً،

خاصة أنه كانت هناك تعبئة مغرضة ، وتحريض واسع بأن حركة فتح هي التي تريد فتح معركة على حساب أمن المخيم ، وعلى حساب أهالي المخيم، ولهذا كانت الأصوات تتعالى من أهالي المخيم دائماً بأنهم ضد الاقتتال الداخلي ، وهذا النهج الحريص على أمن المخيم استفادت منه مجموعات " فتح الاسلام " لتعزيز مواقعها أكثر ، ولتستكمل خطتها وبرامجها مما يؤهلها للسيطرة الكاملة على المخيم ، وبالتالي إعلانه قاعدة ارتكازية لانطلاقها نحو مشروعها السياسي الأمني .

والمعروف للجميع أن حركة فتح في بعض المناطق وخاصة منطقة الشمال قد فقدت كل ما لديها من امكانيات تسليحية بعد الانشقاق الذي حصل عام ١٩٨٣ ، وحتى عندما بدأت بالظهور العلني بشكل تدريجي مع بداية الانتفاضة الأخيرة ، انتفاضة الأقصى ، كان ظهورها سياسياً، وإعلامياً، واجتماعياً ، ولم يكن مسموحاً لها امتلاك السلاح وإعادة نشاطها العسكري لأن ذلك كان محظوراً من الفصائل الموالية لسوريا، بينما كافة الفصائل ظلت محافظة على قدراتها العسكرية التي كانت بحوزتها قبل العام ١٩٨٣ .

إنّ حركة فتح تتفوق على غيرها من حيث الامتداد الجماهيري ، والخدمات الاجتماعية ، والالتفاف حول خطها السياسي الذي تبلور أكثر في العام ٢٠٠٠ بعد مؤتمر كامب ديفيد اثنين عندما صمد الشهيد الرمز ياسر عرفات أمام الضغوطات الأميركية والاسرائيلية ، ورفض التنازل عن حق العودة وعن القدس ، وخرج منتصراً ليعود إلى أرض الوطن وسط الترحيب والتكريم من جماهير الشعب الفلسطيني ، ومن مختلف القوى السياسية والفصائل الفلسطينية حتى المعارضة له ، وهذا ما وضع حداً للحملات الاعلامية الرامية إلى تشويه صورة الرمز الفلسطيني أبو عمار ، وتعزّز ذلك أكثر عندما أقدمت اسرائيل على احتلال الضفة وغزة مجدداً ناسفة كل ما تم انجازه من انسحابات استناداً إلى اتفاق اوسلو ، وقامت يومها بفرض حصار على الرئيس أبو عمار تواصل حوالي ثلاث سنوات منذ آذار

العام ٢٠٠٣ تاريخ انعقاد القمة العربية في بيروت التي أعلن فيها عن مبادرة السلام العربية ، وقابلتها اسرائيل باجتياح عسكري تدميري لكل البنية التحتية الفلسطينية .

حاولت قيادة فصائل منظمة التحرير الفلسطينية استنهاض وضعها في منطقة الشمال وتعزيز امكانياتها على أرضية الدفاع عن النفس وليس على أرضية المبادرة بهجوم عسكري على الطرف الآخر لأنّ ذلك كان متعسِّراً لأسباب أهمها :

أولاً : الوضع القتالي العسكري للحركة لم يكن يسمح بذلك لفقدان التوازن العسكري .

ثانياً : لأنَّ هناك رفضاً جماهيرياً لأي تقاتل داخل المخيم بسبب التداعيات الخطيرة لمثل هذه الأحداث ، التي قد تمتد إلى مختلف أحياء المخيم ، ومن بيت إلى بيت .

ثالثاً : لأنَّ الموقف من ظاهرة "فتح الإسلام" لم يكن موحَّداً داخل المخيم بسبب الاجتهادات التي كان يرى بعضها أنّ الخير كل الخير هو في هذه المجموعات التي تقوم الليل وتصوم النهار. ولم يكن هناك اجماع على هذه الظاهرة الغريبة التي تحمل مشروعاً سياسياً أمنياً وصل في النهاية إلى ما وصل إليه من تدمير للمخيم وتهجير لأهله .

هذا المشروع السياسي والأمني بدأ يتبلور أكثر بعد عملية عين علق حيث أدى الانفجار في أحد باصات النقل في منطقة مسيحية إلى قتلى وجرحى وأثار نقمة وغضباً على الفلسطيني ، خاصة عندما كشف الأمن اللبناني عن الجهة التي تقف وراء التفجير ، وحُدِّدت أنها تنظيم "فتح الإسلام" ، وكانت هذه بداية سيئة لإقحام مخيم نهر البارد حيث يتحصن هذا التنظيم ، في خصومة مع الطائفة المسيحية في الوقت الذي كانت تسعى فيه قيادة م.ت.ف إلى تجاوز الماضي المؤلم ، وفتح

صفحة جديدة من العلاقات السياسية مع مختلف الأطراف على الساحة اللبنانية على أرضية التضامن مع القضية الفلسطينية ، التي هي القضية المركزية للأمة العربية والاسلامية ، والأحرار في العالم، ولطالما أعلنت القيادة الفلسطينية أنها على مسافة واحدة من الجميع ، وأنها ليست طرفاً في أية تباينات سياسية بين الفرقاء اللبنانيين . والقضاء اللبناني تابع هذا الملف وأصدر أحكامه بخصوص الأشخاص المنفذين .
هذا الحدث الاجرامي الذي استهدف المدنيين زاد التوترات أكثر في مخيم نهر البارد ، وبدأت الأمور تتبلور أكثر فأكثر ، وبات من المتوقع أن تقدم مجموعات "فتح الإسلام" على تفجير معركة داخلية كخطوة ضرورية للسيطرة على الوضع في المخيم . وكان الخيار المتوقع لدى الجميع ، والاحتمال الأقوى ، هو أن يتم استهداف مواقع حركة فتح ومراكزها ، بما في ذلك مراكز فصائل م.ت.ف ، لقطع الطريق على الاستعدادات التي بدأتها فصائل م.ت.ف على سبيل الدفاع عن النفس .

وقبل أن نتحدث عن لحظة انفجار الأزمة لا بد من العودة إلى البداية، بداية الاعلان عن ظهور مجموعات "فتح الاسلام" ، يومها استشعرت القيادة الفلسطينية في لبنان حجم الخطر الداهم ، فقام ممثل م.ت.ف في لبنان ، ومفوض الساحة الفلسطينية السفير عباس زكي بدعوة ممثلي كافة الفصائل سواء في إطار المنظمة أم التحالف إلى اجتماع في السفارة ، وتم البحث في طبيعة وخلفيات ظاهرة " فتح الإسلام " التي فرضت نفسها على أهالي مخيم نهر البارد . بعد انتهاء الاجتماع في ممثلية م.ت.ف تم تشكيل وفد يمثل الفصائل الفلسطينية للذهاب إلى مخيم نهر البارد،واللقاء مع قيادة ما يُسمى"بفتح الإسلام"، ومن القيادات التي شاركت في الحوار اللواء أبو طعان عن حركة فتح، وعلى بركة عن حركة حماس ، ومران عبدالعال عن الجبهة الشعبية ورامز مصطفى عن القيادة العامة ، وبلال أصلان من حركة فتح وأبو سعدو من الجبهة الديموقراطية، وقيادات أخرى .

شاكر العبسي ومن معه من قيادات " فتح الاسلام " مثل أبو هريرة وشاهين شاهين وأبو مدين أكدوا بجرأة ووضوح أنهم تنظيم جهادي ، وأنهم موجودون لقتال اسرائيل ، ورفضوا أية تسوية مع قيادة الفصائل الفلسطينية ، وتحدثوا بلهجة الواثق من نفسه ، الرافض لأن يكونوا جزءاً من التحالفات الفلسطينية القائمة ، وكان من الواضح أنهم قد أخذوا قرارهم بترسيخ وجودهم في مخيم نهر البارد كمقدمة لتوسيع إطار وجودهم في المنطقة . الوفد الفلسطيني الذي زار نهر البارد كان له بعد اللقاء وجهتا نظر ، وإنْ كان الجميع لا يفكر بمعركة داخلية ، لكن استشعار المخاوف المستقبلية من وجود هذه المجموعة المسلحة الغريبة عن النسيج الوطني الفلسطيني هو الذي كان مصدر تباين وخلاف ، فبينما فصائل م.ت.ف كانت تتمنى موقفاً موحداً حاسماً من الجميع يجبر هذه المجموعة على الرحيل ، والعودة من حيث أتت ، كانت الفصائل الاخرى ترى أن هناك إمكانية للتفاهم والاستيعاب طالما أن الخلفية هي إسلامية .

والوفد الذي كُلف مركزياً لم يقم بجولات اخرى لأن الرسالة وصلت إلى مختلف الأطراف ، إلا أن الحوار معهم لم يتوقف على الصعيد الفصائلي أو على صعيد اللجنة الشعبية ، كما أنّ عدداً من رجال الدين اللبنانيين والفلسطينيين ومن تيارات واتجاهات مختلفة دخلوا إلى مخيم نهر البارد ، وتحاوروا مع مجموعات " فتح الإسلام " ، وتعرفوا على أفكارهم ، ولم يعربوا في البداية عن استيائهم ، وإنما كان هناك ارتياحٌ منهم لخلفيات هذه المجموعات . ولم يفكر أحد من التيارات الإسلامية التي ذكرناها ، والتي خاضت الحوار معهم أن ينشر إعلامياً مخاوفه من وجودهم ، أو رفضهم لممارساتهم اليومية التصعيدية داخل مخيم نهر البارد ، وهذا ما شكل موقفاً استفادت منه مجموعات " فتح الإسلام " بأنها مقبولة لدى الأطراف الإسلامية ، وأن كل ما يُثار حولها من تساؤلات ومخاوف من قبل قيادة منظمة

التحرير الفلسطينية غير صحيح ، وأن هناك تهويلاً من قبل حركة فتح في هذا المجال .

منشأ هذه الظاهرة وأهدافها

منذ البداية كان السؤال المطروح حول منشأ هذه الظاهرة ، وكيف تكونت ؟ وكيف انتقلت إلى مخيم نهر البادر ؟ ولماذا ؟ وما هي أهدافها ؟

وسائل الاعلام أكدت أن هذه المجموعات تجمعت في معسكر حلوه على الحدود السورية بإشراف أبو خالد العملة ، وقيادة شاكر العبسي، وأن هذه المجموعات تلقت المزيد من التدريب والتوجيه ، ثم نُقلت من هناك إلى منطقة الشمال ، وخاصة إلى مخيم نهر البارد الذي حولوه مع الأيام إلى قاعدة ارتكازية لهم . هذه المعلومات التي نُـشِرت ، وأكدها أكثر من مسؤول فلسطيني لم يصدر نفيٌ لها من أية جهة ، وهذا دليل على صحة ما نُشِر .

الفصائل الفلسطينية نفت معرفتها أو علاقتها بطريقة دخول هذه المجموعات إلى المخيم ، لأن مداخل مخيم نهر البارد ليست تحت سيطرة الفصائل ، أي بعكس مخيم البداوي أو غيره من مخيمات لبنان، أي أن طريقة الانتقال وكيفية الانتقال ، ووسائل الانتقال ليست مسؤولية فلسطينية . والذي لا شك فيه أن تدريبات هذه المجموعات ، والتعبئة التي برزت من خلال سلوكهم وعلاقاتهم ، والقدرة العسكرية التي تمتعوا بها في قتالهم ، كل ذلك يؤكد أنهم من مجموعات القاعدة المجهزة والمدربة قبل مجيئها إلى معسكر حلوه .

أما أهداف هذه الظاهرة العقائدية ذات الطابع العسكري والأمني وكما أكدتها الأحداث فهي كالتالي :

أ- الإستفادة من وضع منطقة الشمال الغالب عليها الطابع السني وذلك لإقامة إمارة إسلامية ، خاصة أنَّ هناك تيارات سلفية ، وجماعات إسلامية ، وقوى تتعاطف مع مثل هذه المشاريع ، وإمكانية إنشاء خلايا سرية مسلحة سهلة . ويؤكد كلامنا قضية شباب الضنية الذين ما زالت محاكمتهم جارية منذ تسع سنوات تقريباً ولم تنتهِ بعد .

ب- ضرب البنية الداخلية الفلسطينية ، واستهداف منظمة التحرير الفلسطينية ، واضعافها من خلال الصراع العسكري الداخلي ، وتدمير المؤسسات التابعة لها ، وتعقب وملاحقة أعضائها وأنصارها تحت شعار محاربة العلمانية ، وقد بدأ ذلك علناً في مخيم نهر البارد على أمل استكماله وامتداده إلى مخيم البداوي .

ج- ضرب العلاقات اللبنانية الفلسطينية وذلك من خلال عمليات عسكرية أمنية تستهدف شخصيات عسكرية أو سياسية ، أو تستهدف المدنيين لإثارة النعرات الطائفية ، أو المذهبية ، أو السياسية ، وبالتالي تسميم المُناخات ، وجر الجميع إلى ردود فعل طائفية أو مناطقية تستهدف الانسان الفلسطيني أمنياً وسياسياً .

د- ضرب العلاقات اللبنانية اللبنانية والتي هي بالأصل علاقات متوترة ما بين الموالاة والمعارضة ، وأي شرارة فتنة تستهدف شخصيات أساسية سياسية أو دينية ستطيح بكل ما هو قائم من صيغ التعايش ، ومثل هذه الظواهر الغريبة عن النسيج الوطني ، وعن الحالات السائدة في المجتمعات تتغذى وتستفيد في تطوير نفسها من خلال إشعال الصراعات ، وإذكاء الفتن .

ونستدل على ما ذكرنا من خلال مجموعة أحداث ومواقف كانت ملفتة ، وتشكل مؤشرات حقيقية على الأهداف التي ذكرناها :

١- إن الاستنفار الذي ذكرناه سابقاً والذي أخذ طابع عرض العضلات والترهيب لم يكتفِ بالسيطرة على داخل المخيم ، وإنما انتهى بإنشاء مواقع عسكرية محصنة سواء من الجهة الغربية أم من الجهة الشرقية ، والغريب في الأمر أن الموقع العسكري الذي أقاموه من جهة بحنين لم يكن بعيداً عن حاجز الجيش اللبناني ، وهذا الموقع نفسه هو الذي أدى دوراً مهماً في تنفيذ جريمة الاعتداء على عناصر الجيش اللبناني على حاجز المحمرة . وفي ذلك الوقت طُلب من حركة فتح أن تسحب موقعها العسكري الذي أقامته في المنطقة نفسها للدفاع عن مكاتبها القريبة ، وقد التزمت حركة فتح بما طُلب منها آنذاك تنفيذاً لقرار قيادة الجيش . ثم واصلت مجمّوعات "فتح الإسلام" تمركزها في مواقع محصّنة من جهة الغرب في إطار خطة عسكرية محكمة تصادمية مع مواقع حركة فتح .

٢- إنَّ الخلايا السرية والمسلحة المنتشرة في المنطقة وخاصة القلمون ومدينة طرابلس التي كشفت عن نفسها من خلال الاشتباك مع قوى الأمن الداخلي في شارع المئتين ومنطقة الزاهرية ، أكدت أن الاستعدادات لمثل هذا المشروع قد بدأت منذ فترة . والاشتباكات التي حصلت مع خلايا متمترسة في شقق محددة ومعدة لمثل هذا العمل ، خاصة في حي أبو سمرا شرق مدينة طرابلس تؤكد ذلك .

٣- إنَّ قرار الاشتباك مع قوى الأمن الداخلي من قبل هذه الخلايا يُعتبر قراراً خطيراً، ويحمل في سياقه نوعاً من التمرد على السلطة وعلى قيادة الجيش ، والجميع يعلم أن الجيش اللبناني خط أحمر ، والتعرُّض له من قريب أو بعيد هو تعرض لكل الطوائف اللبنانية ، لأن مؤسسة الجيش هي المؤسسة المتماسكة التي ينخرط فيها الجميع دون استثناء ، وهي ضمانة تماسك لبنان رغم ما فيه من خلافات ونزاعات بين موالاة ومعارضة. من هنا نشأ الشعور بالخطر الداهم وعلى كافة الأصعدة .

٤- إن التدريبات المتواصلة ليلاً ونهاراً لمجموعات"فتح الإسلام" في المراكز الأساسية ، والساحات المعزولة وخاصة مبنى التعاونية ، ومبنى صامد ، وهي مراكز محصَّنة جيداً وتقع في الجانب الغربي من مخيم نهر البارد ، وتشرف على مُجمَّع المدارس ، هذه التدريبات وحسب ما نقله بعض الذين حالفهم الحظ وصادف وجودهم هناك لسبب أو لآخر هي تدريبات مهمة وشاملة ، إلى جانب التعبئة العقائدية ، والتوجيه السياسي المبني على أفكار القاعدة .

٥- إنَّ الملاحظ أن الأعداد داخل هذا المجمع الذي تحتله هذه المجموعات يزيد وينقص بين فترة وأخرى ، ومن هنا نشأ الخلاف حول تقدير عددهم ، وكانت التقديرات تتراوح بين مئة وخمسين وثلاثماية وخمسين ، وبتقديرنا ، وحسب المعلومات المتوافرة فإن هناك مجموعات كانت تدخل إلى هذا التجمع من الخارج ومن أقطار متعددة، وقد تلقوا أصلاً التدريب ، ولكنهم يحضرون لاستكمال التدريبات في تخصصات مختلفة، وبعد الانتهاء من التدريب يتم إرسال هذه المجموعات إلى المكان المطلوب ، وتسمى هذه المجموعات " الهدايا " ، ولهذا السبب كان العدد يتفاوت ، فيزيد أو ينقص ، وأحياناً يزيد حسب الحاجة ، وحسب التطورات الأمنية ، والعسكرية . إذاً وجود مجموعات "فتح الاسلام" في مخيم نهر البارد ليس الهدف منه فقط السيطرة على مخيم نهر البارد ، وإنما استخدام هذا المخيم كقاعدة انطلاق إلى المحيط لاستكمال خطة الانتشار ، واستكمال بناء الخلايا المطلوبة ، وتجهيزها حتى تكون على أهبة الاستعداد .

الفصل الثاني

العلاقة مع الدولة اللبنانية